Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 30/ No. 12/ 2022 المجلد 30/ العدد 12/ 2022

اشكال التعبير النثرية: خطابات السلطة (الخطابة والرسالة) في العصر العباسي الاول انموذجاً

زينب علي عبيد
كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل
zainb.hum2016@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2 /2022/11 تاريخ قبول النشر: 17 / 11 /2022 تاريخ نشر البحث: 15/12/ 2022

المستخلص

لاشك ان النثر يواكب تطورات الحياة ويندمج معها ليشكل ملمحاً اساسياً وعاملاً مهماً لها ويمارس دوراً فاعلاً في هذا التطور.

فهو نتيجة التطور الا انه سرعان ما يندمج في مجريات الحياة الحضرية ليؤسس شكلاً ينظم به هذه الحياة ويحدد مسارها. فكان لابد من وجود وسيلة تواصلية مناسبة للسلطان تكون قريبة ومتداولة، لا تحدث نفوراً او اعراضاً لدى المتلقي. فكانت الخطابة والرسائل هي الخيار الاولي للسلطة. وقد تضمن الخطاب السلطوي افكاراً ظاهرة واخرى مضمرة بواسطة الانساق الثقافية الخفية. لذا قسمت البحث على توطئة ومطلبين

اولاً/ توطئة

ثانياً/ المطلب الاول: خطبة السلطة بين الاستحقاق والاستبداد

ثالثاً/المطلب الثاني: الرسائل بين وعي السلطة والمؤلف المزدوج.

الكلمات الدالة: السلطة، النسق، الخطابة، الرسائل.

Prose Forms of Expression: Authority Speeches (Oration and Letter) in the First Abbasid Era as a Model

Zainab Ali Obaid
College of Sciences for Human Education/ University of Babylon

Abstract

There is no doubt that prose keeps pace with the developments of life and merges with it to form a basic feature and an important factor for it and plays an active role in this development.

It is the result of development, but it quickly merges with the course of urban life to establish a form by which this life is organized and determines its course. It was necessary to have an appropriate means of communication for the Sultan that is close and circulating, and does not cause aversion or symptoms to the recipient. Rhetoric and letters were the first choice of the authority. The authoritarian discourse included both visible and implicit ideas through hidden cultural patterns. So, I divided the research into first: Preliminary
Second: The sermon of power between entitlement and tyranny
Third: The messages between the awareness of power and the double author.

Keywords: authority, style, rhetoric, messages.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

اولاً/ توطئة:

لاشك ان النثر يواكب تطورات الحياة ويندمج معها ليشكل ملمحاً اساسياً وعاملاً مهماً لها ويمارس دوراً فاعلاً في هذا التطور.

فهو نتيجة التطور الا انه سرعان ما يندمج في مجريات الحياة الحضرية ليؤسس شكلاً ينظم به هذه الحياة ويحدد مسارها.

فالعصر العباسي الاول شهد قوة السلطان، وكان الخلفاء هم المصدر الاهم للادب، مثلما كانوا مصدر سياسة ونفوذ لذا فاصبح هذا العصر عصر خطابة وكتابة [1،ص9].

فكان لابد من وجود وسيلة تواصلية مناسبة للسلطان تكون قريبة ومتداولة، لا تحدث نفوراً او اعراضاً لدى المتلقي. فكانت الخ طابة والرسائل هي الخيار الاولي للسلطة، نتج عنه اشكال تعبيرية اخرى شفوية وكتابية منها القصص والتوقيعات الادبية والنثر المترجم ونثر المؤلفات والمصنفات والمقامات. واذا ما تفحصناها وجدناها ماهي الا تطور للخطابة والرسائل، الاولى شفوية والثانية كتابية فنتج عن الشفوية القصص بوصفها خطاباً شفوياً اول انتاجه وظهوره ومع تطور الحياة البيئية والثقافية اصبحت كتابية، اما التوقيعات والنثر المترجم ونثر المؤلفات والمصنفات والمقامات فماهي الا تطور للفن الكتابي.

فالخطابات عادة تستنفر ذاكرة كاملة كامنة في المخزون الثقافي لنا بوصفنا بشراً، ومتى ما توافرت لها التربة المناسبة، تنفجر هذه الذاكرة وتنتج اشباهاً لها باشكال والوان وان اختلفت؛ الا انها ذات سياق واحد، ومن بوتقة واحدة، فهو النسق الذي يحكم الثقافة، ولايمكن الافلات منه، مهما حاولت الحضارة بانفتاحها، والتداخل مع الثقافات الاخرى.

فنمطية المجتمع العباسي(الاسلامي)، لاتبيح له انتاج اجناس نثرية اخرى غير هذين الجنسين، فهما وان كانا يضربان في العمق التاريخي الا انهما من منجزات العصر الاسلامي ومباركته.

ثانياً/المطلب الاول: خطبة السلطة بين الاستحقاق والاستبداد:

تاخذ طبيعة الجنس الادبي بـشكل عام والنثر بخاصة في علاقتها بالسلطة وجوهاً مختلفة تحددها طبيعة المتلقي(الاخر)، الذي يوجه اليه الخطاب، ولاشك أنها علاقة تثير الكثير من الاشكاليات لطبيعة الخطابة، وطبيعة العلاقة بين السلطة والاخر.

وهي في علاقتها التواصلية تحمل اغراء للمتلقي ولا تتحدد به بوصفه كبيراً، او صغيراً او صاحب سلطة او من تمارس عليه السلطة، فشرطها قائم على فكرة المواجهة، فالمتلقي يشهد جسد الخطيب كاملاً بعينيه، ويديه ونبرة صوته فهو يغرق في المرسِل، ويتاثر به دون ان يستطيع ان يمسك عليه الانساق التي يتخفى تحتها الخطاب. فالخطابة لمحة ولحظة، واللحظة اذا ما كانت بعيدة عن العيوب اللغوية والتعبيرية، تكون اكثر تاثيراً فهذا ليس بدعاً، ولا جديد في حياة البشر. فالانسان مذ وجد يتفاعل مع الاخر، ويوجه اليه خطاباته، ففي معالم الثقافة نجد ان الانسان كائن مشارك قائم على ثنائية الانتاج والتلقي، انتاج الدلالة وتلقيها. والانتاج فيه قائم على الادراك، وبعيد عن الخيال، الذي يسوغ للمتخيل مالا يسوغ لغيره، فاصبحت الخطابة مسؤولية لايقوم بها سوى المتمكن والمسوؤل، في

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

حين ان باقي اجناس الادب من شعر وسرد تحتاج الى المجاز [2،ص67]. فهي شرط من شروطها ومجالس الخلفاء تنتج انواعاً ادبية مجازية (حكايات – شعر) لما فيها من عوالم خيالية لتحدث تعادل مع الحقيقة.

والشعر والحكاية غير ملزمين بالصدق فلا تحاكم او تساءل. اما الخطابة فهي الالزام واللامجاز، والمسؤولية ومحور للمحاكمة والمساءلة. فالسلطة تحتاج الى المجاز، ولا تستطيع الخروج عنه لما له من مبررات ومسوغات؛ لأعمال وافعال خارج اطار السياسة والدين. فهي شرط من شروط بقائها ووجودها.

والخطابة اصبحت اكثر اهمية مع بداية العصر العباسي حيث اتخذتها الثورة العباسية اداتها الاولى.[3،ص448] ويبدو أن واقعية الخطابة، والصورة المنمقة للخطيب، بوصفه منتج لها جعلت منها اداة فاعلة في التاثير الا انها قاصرة، "والحق أن الخطابة مظهر اجتماعي للمجتمع الراقي تحيا برقي الجماعة، وتخبو بضعفها. ولقد قال ابن سينا في فائدتها إن صناعة الخطابة عظيمة النفع جداً؛ وذلك لأن الاحكام الصادقة فيما هوعدل وحسن أفضل نفعاً " [4،ص22].

فالمؤسسة الثقافية العربية قائمة على الشعرنة (انماء الخيال وتعظيمه)؛ لانها قادرة على انتقاء صفات وادوات (نموذجية)، خالية من العيوب عكس ما هو في الخطابة. فهي لا تتمكن من الانتقاء مما جعلها بعيدة عن نموذجية التواصل القائمة على المواجهة بين (المرسل/ المرسل اليه) فالمكان مشروط الوجود وفاعلية المكان تلزم بواقعية الحدث، وواقعية الافعال، والسلطة بوصفها موجه الخطاب عامة والادب بخاصة استغلت الخطابة اول امرها؛ لفاعليتها المتسارعة (الخطابة) فالاشياء الجديدة مغرية اول امرها (الخلافة الجديدة) والخطابة مرتبطة بالواقع. والسلطة ارادت مواجهة هذا الواقع وجعله تحت سيطرتها، بواسطة توجيه خطابات مغرية فيها نوع من التحريض والجذب للخلافة الجديدة، فخطبة ابي العباس السفاح التي يقول فيها "الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه، واختار ه لنا، وايده بنا، وجعلنا اهله وكهفه. وحصنه والقوّام به، والذابين عنه، والناصرين له: وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وآله، وانبتنا من شجرته وا شتقنا من نبعته وانزل بذلك كتاباً يتلى، فقال سبحانه: { قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى} (سورة الشورى،آية 23)، [5،ص6] فبنية الخطب العباسية قائمة على بنيتين الاولى ظاهرة بائنة يتحدث فيها الخليفة عن البعد الديني الانساني وهي (بنية الاستحقاق) فهم احق الناس بالخلافة بالدلائل الواضحة من نسب يعود لآل بيت النبوة .

ويوضح هذا الاستحقاق ابو جعفر المنصور من خطبة قالها بمكة:"ايها الناس انما انا سلطان الله في ارضه، اسوسكم بتوفيقه، وتسديده وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه باذنه، فقد جعلني الله عليه قفلاً، وإن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم، وقسم أرزاقكم، فإن شاء ان يقفلني عليها أقفلني، فارغبوا الى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما اعلمكم به" [6،ص27].

فالاستحقاق اتخذ طابعاً اكبر من النسب، فسلطان الله في الارض ماهو الا عملية مسلّم بها فهو سلطان بامر الله تعالى وامر الله نافذ لامحالة.

اذا ما فحصنا النص الاول نجد ان بنية الاستحقاق جاءت باختيار الله وتايده(اختاره لنا، وايده بنا) فهي دلالة نسقية للسلطة التي تحيل الى الماضي قبل زمن السلطة، وانهم احق بالخلافة فهم امتداد لبيت النبوة من جهة عم

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

النبي (صلى الله عليه وآله سلم) الامام العباس (عليه السلام)، والنص الاخر يوجب هذا الاستحقاق فهم (سلطان الله في الارض) وهوأمر إلهي فاصبح موضوع الخلافة الزاماً لا خياراً .

وتؤكد هذه الافكار خطبة (التعزية والتهنئة) التي كانت تلقى بامر السلطة ايضاً فابن عتبة يهنئ المهدي بالخلافة ويعزيه في ابيه المنصور" آجر الله امير المؤمنين على امير المؤمنين قبله، وبارك لامير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده، فلا مصيبة اعظم من فقد امير المؤمنين، ولا عقبى أفضل من وراثة مقام امير المؤمنين، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله افضل العطية، واحتسب عنده اعظم الرزية" [7،ص192]

وهو ما ارادت السلطة ترسيخة، فالموضوع ليس موضوع تولي الخلافة فحسب؛ وانما تظهر بنية اخرى متخفية لم يستشعر بها كاتبها وهي (بنية الاستبداد)، لتعطي دلالات اخرى لنص الخطابة في هذا العصر فالتهنئة والتعزية ليست وليدة اللحظة ولا هي آنية وانما هي تسبقها بكثير فـ(امير المؤمنين) بتكراراتها دلالة على ان هناك ارتباط استبدادي واقتران بين الايمان وسلطة الخليفة العباسي، فالايمان يضمر دلالات تعسفية خارج اطار الدين الحق لان الدين مشورة لا الزام فيه، {لا اكراه في الدين} (سورة البقرة/ آية 256)، وفي دلالات النص المخبوءة مايشير الى فكرة مفادها متى وجدتم المؤمنون وجدتم انتم للامارة. والايمان مرتبط بكم مجازاً وهذا ما يحقق (بنية الاستحقاق). وهو المؤشر الذي يفضحه النسق في النص الخطابي؛ لانه مواجهة محتدمة مع الاخر تراهن على تحقيق الاهداف منها؛ وهو دلالة نسقية فالنسق هو المتحدث مستغلاً عماه الثقافي، فالاستحقاق في الاصل ليس لهم وانما لآل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فيقول ابو العباس السفاح في الخطبة نفسها " فاعلمهم جل ثناؤه فضلنا، واوجب عليهم حقنا ومودتنا، واجزل من الفئ والغنيمة نصيبنا، تكرمة لنا وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم. وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم" [8،ص3/7].

النص السابق يتعارض مع فكرة الاحقية، فالاحقية لها مسوغات اما النص السابق (فاعلمهم ... فضلنا، واوجب، وزعمت السبئية الضلال ...، فشاهت وجوههم) ماهو الا عمى نسقي لايشعر به قائله، وانما تبوح به الثقافة، فللسلطة ثقافة، وهو وريث نسقي للخطاب الاموي لان (وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا) هذه النسقية ترفض الغير دون ان تحدده حتى، فحددت هذه النسقية ودلت بالمجاز الثقافي فاصبح المؤمن تابع للامارة وهذه الامارة حددتها السلطة عن طريق العمى الثقافي فهي وراثة واعادة انتاج يورثها السابق للاحق.

فهنا استطاع النسق التغلغل، والتخفي، وليجعل الاخر لا يرى هذا، على رغم من ان ثقافة العصر العباسي الدينية، والعلمية بلغت الذروة، الا أن النسق أقوى من المنتج نفسه، فهذا التعارض بين بنية الاستحقاق، القائمة على فكرة دينية تبدو ذات طابع انساني تتحدث به السلطة، وصوت آخر تجده يتستر ويتخفى وهو بعيد عن الانسانية يمثل البقاء القسري والتعسفي للخلافة هو النسق المتمثل (ببنية الاستبداد) وهو ما لا تعيه السلطة لكنه متوارث موجود.

وبذلك استقطبت السلطة الناس بهذا ا لعنف الثقافي دون وعي منها، لقدرة النسق الفائقة على التخفي، فكانت البيعة تلو البيعة للخلافة على الرغم من المآسي التي كان يعانيها المجتمع العباسي من ظلم وتعسف وطبقية مقيتة[9، ص26-28].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فبنية الاستحقاق طغت واستفحلت وهي اساس نصوص الخطابة وعنوانها، وهي مكررة في كل خطاباتها النثرية والشعرية وتظهر بشكل جلي في الخطابة، لطبيعتها من حيث المشاركة بين المرسل والمرسل اليه ومباغتته في تمرير افكارها الواعية وغير الواعية منها، من طريق تزويق الخطاب بالمؤثرات الصوتية والتعبيرية التي تشترك مع اللغة لاحداث السحر المطلوب على المتلقي.

ولا شك ان للنسق القدرة على جعل النص يتصارع بدلالاته كي يظهر الدلالة الانسانية الواعية، ويضمر الدلالة اللاانسانية المتخفية خلفه. لان لحظة الخطابة ماهي الا بوتقة يطلقها الخطيب موجهة الى الاخر دون ان يشعر بخطرها فتخفي النسق اخطر من ظهوره، واستبداد السلطة ماهو الا ارث في الجينات العربية، فالانسان الجاهلي مستبد بفخره، ومستبد بغزله فبعد مساءلة الديار والبكاء على المنازل، الا انه سرعان ما ينهال بفحولته ليستبد ويوقع بها (المرأة) ولا يكتفي بواحدة وانما يعدد بهن، ويلزمهن بالاستجابة له. هذا هو الارث الثقافي الذي يظهره النسق متى ما توافرت له مبررات الظهور.

المطلب الثاني/ الرسائل بين وعي السلطة والمؤلف المزدوج:

الكتابة ماهي الا ذاكرة تنفجر لتبوح بمخزونات ذهنية قد تعجز المشافهة من البوح بها.

استطاعت الكتابة نقل الثقافة من الحسية الى الذهنية لتترجم بالحروف والكلمات على الورق فهي (وعاء ملئ علماً، وظرف حشي ظرفاً، وإناء شحن مزحاً وجداً)[10،ص38/1]. فلحظة القراءة وفق سياقات معينة يجعل من الكتابة شئ مؤثر ويعقبة ردة فعل. تتناسب مع التاثير الحادث.

وهذا ما جعل السلطة ان تعهد الكتابة الى الثقاة من اربابها واصبح للكتابة ديوان اطلق عليه (ديوان الرسائل) اضف الى ذلك أن(الخلفاء على حظ كبير من العلم والادب وقد انعكس كل هذا على الحياة الثقافية التي لم تقف عند حد العلوم الشرعية واللسانية،[...]، وكانت حركة الترجمة التي عني بها المنصور والرشيد والمأمون ايذاناً بهذه الطفرة الكبرى في الحركة العلمية، وقد نقلت أمهات الكتب عن الهند والفرس واليونان في الطب والفلسفة ...)[11، ص38/1] وذكر المسعودي أن المنصور كان يتولى بنفسه الرد على محمد بن عبد الله بن الحسن، وحينما عرض عليه وزيره ان يقوم بذلك أجابه: ياهذا ليس ذلك اليك، اذا تقارعنا عن الاحتساب فدعني وإياها.[12،ص37/2]

كذلك رد الرشيد على تهديد نقفور امبراطور الروم في رسالة بعث بها اليه، إذ ابى الا ان يرد عليه بنفسه، قائلاً: (من عبد الله هرون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم فهمت كتابك والجواب ما تراه لا ما تسمعه) [13، 192/1] فالمعنى مباشر ولا ارجاء فيه، ولا تاجيل، ولا حتى تزويق كتابي فالمرسل اليه لا يستحق التزيين في الرد، وهو مثله مثل الخطابة الا انه تواصلياً اصبح (ماتراه) اكثر اثراً من ما (تسمعه)، فالسمع قد يخدع لانه قائم على التلقي المباشر فقد تخطئ استجابة المتلقي، الا ان تحوله الى ما تراه بوصف البصر اكثر الحواس مصداقية، والكتابة قائمة عليها؛ لذا تحول الخطاب من السماع الى البصر؛ ما هو الا تاكيد له وإصرار عليه لما تتمتع به الكتابة من مقدرة على التعديل والتغيير، فما كتب مقصود ومسبوق باصرار فهو (ماتراه) المقصودة،(لا ما تسمعه)، غير المقصودة او التي وقعت بزلة لسان او سوء فهم .

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهذا ما ارتأته السلطة. في رسائلها التي كانت ترسل منها مباشرة دون اسنادها الى الكتاب، اغلبها رسائل اخبارية للمرسل اليه ناتجة عن وعي المرسِل (السلطة) التام بمتلقي الخطاب، فالرسالة ليست بحاجة الى التعديل او المحسنات البديعية التي تدل على الاهتمام بمتلقيها؛ لانٍ مباشراتية الخطاب دليل على وضاعة المتلقي وعدم الاكتراث به ، والابتعاد عن الاهتمام بصياغة المعنى بلاغياً من أمة عرفت ببلاغتها بوصف (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، انما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ)[14، ص132/3] . فقانون العرب الكتابي وشأنه (الصياغة)بوصفها تقنية للانتاج الجمالي، ومتلقي الخطاب لا يستحق من المرسل سوى ما هو (مطروح في الطريق) فهذه رسالة بحد ذاتها ؛ لانه لا يستحق دون ادنى (تخير للفظ) او (جودة سبك) .

وبلغت منزلة رئيس ديوان الرسائل منزلة كبيرة فهو (ليس في منزلة خدم السلطان والمتصرفين في مهماته اخص من كاتب الرسائل، فانه أول داخل على الملك، وآخر خارج عنه، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه، والافضاء اليه بمهماته، وتقريبه من نفسه في آناء ليله، وساعات نهاره، واوقات ظهوره للعامة، وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، فهو بذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن الى قريب او نسيب ركونه إليه)[15،102/1].

فالمؤسسة الثقافية اباحت للكاتب مالم تسمح به لغيره، بوصفه مدونة ثرية لثقافة العصر ، ويملك اساليب التعبير التي تحدث التحولات الكبرى في طرق التعبير ، لذا فامتلاكه المرجعية الثقافية، ومواكبة التطورات الحاصلة، تجعل من الرسالة سلطة موجهة الى الاخر ، بما تملكه من قوة القديم بوصفه مرجعاً، وسهولة الحضارة والمدنية بوصفها الحداثي فهو (سلطة تنبع من طبيعته هو نفسه، بوصفه نظاماً وهي سلطة تمارس عملية الضبط والإقصاء بغية الحفاظ على وجوده)[16،ص189] وهذا ما يمكنها من الهيمنة لا على مقاليد الحكم فحسب وانما على اختراق عقل الآخر وفرض افكار السلطة دون ان يشعر .

فاذا تتبعنا خطب البيعة وجدنا هذه الهيمنة باشكال مضمرة، لتستقطب السلطة الناس بهذا العنف الثقافي دون دراية، لقدرة النسق الفائقة على التخفي " فالمرسل لا ينتج خطابه، مكتوباً او شفهياً، جزافاً، بل ينتجه بعد أن يضع هذه العناصر السياقية في الحسبان وهذا الاعتبار هو نتيجة لسلطة تلك العناصر السياقية"[17،ص224] لان هناك ما يعرف بالمؤلف المزدوج بأزاء السلطة وهي الثقافة التي تحضر مع الخلفية .

ولا شك أن المؤلف المزدوج يحاول ان يستحضر الثقافة بما فيها من معارضات للسلطة ووسائل لاسقاطها مثلما حدث مع الخلافة الاموية، لان الثقافة هنا تشترك مع المؤلف في عملية انتاج النص لتصبح شريكة معه. مثل نصوص البيعة بقول " تبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين، بيعة طوع وإعتقاد، ورضا ورغبة، باخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدق من نياتكم، لامكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها"[18،ص224/4]. والنص بظاهره يعبر عن البيعة، والبيعة وردت في القرآن الكريم بدلالة الطاعة المصاحبة للرضا والاستبشار قال تعالى:{ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به }(سورة التوبة،آية 111). ومما ورد في الحديث الشريف :" عن عبادة بن الصامت قال: كنا مع رسول الله في مجلس فقال: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فمن وفي منكم فاجره على الله ..."[19]. فالبيعة بهذا المعنى

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

عبارة عن العقد الذي يكون بين طرفين فهو قائم على الايجابية والتراضي بينهما، ولا اكراه فيه، فالاية الكريمة وعد بالاستبشار مقابل البيعة وفي الحديث الشريف وعد بالاجر والثواب. اضافة الى ان مضمون المبايعة ماهو الا فيما يخدم مصلحة الدين والدنيا فهي مصلحة للمبايع اكثر مما هو للمبايع له . ونص بيعة المنتصر بالله هنا فيه ادراك لمعنى البيعة في اصلها لذلك نجد هناك تلاحقاً مقصوداً في عبارات تدل على صلاحية هذا العقد (بيعة طوع، واعتقاد،...) هو خطاب مصدره المؤلف الحقيقي الواعي لماهية البيعة .لكن الخطاب لايبقى على هذه الوتيرة من الوعي ليصل الى قوله:" والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين، وعلى انكم اولياء اوليائه، واعداء أعدائه، من خاص وعام وأبعد وأقرب، وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد، وذمة العهد"[20، 224] فهنا يحضر (المؤلف المزدوج) الذي يظهر صوته دون وعي من الكاتب، فيؤثر ويحتال، فهو النسق الذي يتخفى ولا يظهر. فكل الثقافات السابقة توصف السلطة على انها قيمة عليا وليس لاحد الحق بالتجاوز أو الخروج عليها، فالنص متغلغل بالنسقية وبثقافة تتوارثها السلطة جيلاً بعد جيل فأثر ذلك المؤلف المزدوج على النص واصابه بالعمى الثقافي، ليمارس النسق سلطته على المنتج، والمنتج لا يرى هذه العيوب النسقية .

لانه يحاول أن يجذب الآخر لينقاد له بما وصف(بالمبايعة) التي لا تقوم على القسر فجملة (كل ما يأمر به) تتنافى مع قوله تعالى:{ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به}(سورة التوبة، آية111). فالاستبشار لا يعني القسر والجبر وانما هو وعد بالبشرى، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلفظة (تبايعوني) اصلها صيغة استفهام،(أتبايعوني) ولم يقل(بايعوني) الآمرة، وهي طوعية لانها في اللغة تعني " المعاقدة والمعاهدة، وهي شبيهة بالبيع الحقيقي"[21،ص28/9] وهي قائمة على التراض بين الطرفين، فالتعارض النسقي بين المبايعة وجملة " الوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين" هنا جملة ثقافية فهي ذروة النص؛ لأن الثقافة هي سابقة للنص ولقائله لذا فقد خرجت من عوار ثقافي بوصفه تغذية تفرز بناء على التفكير اللاعقلاني والعاطفي، وبناء على تصورات مسبقة موروثة. فظهرت بوصفها ردة فعل بشكل منتج كتابي (رسالة) وما يترتب عليها من سفك للدماء حين يخرج الناس عن هذه الجملة الثقافية(الوقوف عند كل ما يأمر به) رغم انهم مبايعون وأن هناك حريات وهذا ما بينه المؤلف الحقيقي(بيعة طوع واعتقاد)، الا ان ما كشفه المؤلف المزدوج مناقض لذلك، وقد اصبح المنظومة والوثيقة التي تتداولها السلطة.

وقبلها كانت بيعة محمد المهدي ابنه بقوله:" والمهدي – معشر المسلمين– في عفافه وصلاحه وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته ... وقد بايع أمير المؤنين من قبله من أهل بيته وجنوده ورعيته للمهدي إبن أمير المؤمنين لعيسى بن موسى من بعد محمد المهدي مستبشرين ببيعتهم"[22،ص143/3] فلم يكتف الخليفة بالأمر بمبايعة ابنه فقد امر بمبايعة من يأت بعده وقد رصفت له صفات محمودة لتأكيد المبايعة(العفاف، والصلاح، والورع، والشيمة، والحلم، والرأفة) فهي ذهنية متوارثة داخل النظا م الفكري للسلطة العربية، فقد اباحت لنفسها ان تتحكم بالمبايعة على الرغم من ان النص (بواسطة مؤلفه الحقيقي) يسوغ هذه المبايعة بأهلية المبايع له. الا أن الؤلف المزدوج(النسقي)يكشف نسق السيطرة والقسر من قوله:" فابشروا بنعم مخبآت : عاجلات وآجلات يعز الله بها دينكم ويتم بها النعمة عليكم، ويقمع بها ا الشيطان وجنوده وأبالسته، ويفلُّ بها حدهم، ويوهن بها قوتهم، ويصرعهم في كل موطن"[22،ص143/3]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فالمؤلف المزدوج يكشف عيوب الخطاب النسقية، ليصل بالسلطة دون ان تشعر الى مخبوء النص الذي يكشف عواره بعد الصلاح والورع والشيمة والحلم والرأفة ... التي تجعل صاحبها أكثر تسامحاً مع الآخر المختلف، وأكثر استيعاباً لافكاره." وذلك ان من بايع سلطانه فقد أعطاه الطاعة، وأخذ منه العطية؛ فأشبهت البيع الذي فيه المعاوضة من أخذ وعطاء"[23،ص209/24] الا أن النسق يكشف قسرية السلطة فقد تغير المعنى، وتغيرت المعادلة من صلاحية المبايع له، الى قسرية هذه المبايعة . لان مبدأ الثواب والعقاب الذي كشفه النسق دون ان يشعر مؤلفه الواعي؛ انما يكشف (الانا الطاغية) من خلال ذروة النص المتمثلة ب(الشيطان وجنوده وابالسته)، فهو الآخر المعارض للسلطة وفكرها، بوصفها (السلطة) الانا الكبرى التي تتحكم بكل شئ، فالآخر المعارض هو الشيطان الاكبر، فيتوجه الخطاب النسقي الى مبدأ الوعيد، فوسمهم بالشيطان وجنوده. ليبيح للسلطة أن تقضي عليهم، فكشفه النسق(يصرعهم ويقتلهم)، فهذا هو معنى النص المخبوء الذي ارادت السلطة اخفاءه، الا أن النسق فضَّاح بطبيعته، فالسلطة ارادت كل شئ لها لدرجة أن اوصت بالمبايعة لثلاثة اجيال، متعاقبة، كي تكون لنفسها ولا يشاركهم احد في السلطة، الا ان فكرة البقاء والاستمرار انقلبت على نفسها، فجاء من داخلها ما يفسد شكلها الذي رسمته في نصوصها من الحرية والعدالة والايمان كمبرر باستبعاد الاخر وجعله تابع لها، ولاجيال عدة وشيطنة المختلف والمغاير، بصرعه وقتله، فحرية السلطة العباسية التي نادت بها هي حرية استبداد فانت حر ومرفه اذا اذا دخلت داخل منظومة السلطة واتبعت آيديولوجياتها الطاغية دون معارضة .

الخاتمة:

- ان النثر يواكب تطورات الحياة ويندمج معها ليشكل ملمحاً اساسياً وعاملاً مهماً لها ويمارس دوراً فاعلاً في هذا التطور.
- ان العصر العباسي الاول شهد قوة السلطان، وكان الخلفاء هم المصدر الاهم للادب، مثلما كانوا مصدر سياسة ونفوذ لذا فاصبح هذا العصر عصر خطابة وكتابة بوصفه وسيلة تواصلية مناسبة للسلطان تكون قريبة ومتداولة، ولاتحدث نفوراً او اعراضاً لدى المتلقي. فكانت الخطابة والرسائل هي الخيار الاولي للسلطة.
- نتج عن الخطابة والكتابة اشكال تعبيرية اخرى شفوية وكتابية منها القصص والتوقيعات الادبية والنثر المترجم ونثر المؤلفات والمصنفات والمقامات. اذا ما تفحصناها وجدناها ماهي الا تطور للخطابة والرسائل، الاولى شفوية والثانية كتابية نتج عن الشفوية القصص بوصفه خطاباً شفوياً اول انتاجه ومع تطور الحياة البيئية والثقافية اصبح كتابياً، اما التوقيعات والنثر المترجم ونثر المؤلفات والمصنفات والمقامات ماهي الا تطور للفن الكتابي.
- نصوص الخطابة في العصر العباسي كانت قائمة على بنيتين الاولى ظاهرة ومقصودة وهي (بنية الاستحقاق) والثانية متخفية وثاوية هي(بنية الاستبداد).
- ان للنسق القدرة على جعل النص يتصارع بدلالاته كي يظهر الدلالة الانسانية الواعية، ويضمر الدلالة اللاانسانية المتخفية خلفه. لان لحظة الخ طابة ماهي الا بوتقة يطلقها الخطيب موجهة الى الاخر دون ان يشعر

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بخطرها فتخفي النسق اخطر من ظهوره، واستبداد السلطة ماهو الا ارث في الجينات العربية، فالانسان الجاهلي مستبد بفخره، ومستبد بغزله فبعد مساءلة الديار والبكاء على المنازل، الا انه سرعان ما ينهال بفحولته ليستبد ويوقع بها ولا يكتفي بواحدة وانما يعدد بهن، ويلزمهن بالاستجابة له. هذا هو الارث الثقافي الذي يظهره النسق متى ما توافرت له مبررات الظهور.

- استطاعت الكتابة نقل الثقافة من الحسية الى الذهنية ليترجم بالحروف والكلمات على الورق.
- فالمؤسسة الثقافية اباحت للكاتب مالم تسمح به لغيره، بوصفه مدونة ثرية لثقافة العصر، ويملك اساليب التعبير التي تحدث التحولات الكبرى في طرق التعبير، لذا فامتلاكه المرجعية الثقافية، ومواكبة التطورات الحاصلة، تجعل من الرسالة سلطة موجهة الى الاخر، بما تملكه من قوة القديم بوصفه مرجع، وسهولة الحضارة والمدنية بوصفها الحداثي.
- أن النسق فضَّاح بطبيعته، بفضح الخطاب، فالسلطة ارادت كل شئ لها لدرجة أن اوصت بالمبايعة لثلاثة اجيال، متعاقبة، كي تكون لنفسها ولا يشاركهم احد في السلطة، الا ان فكرة البقاء والاستمرار انقلبت على نفسها، فجاء من داخلها ما يفسد شكلها الذي رسمته في نصوصها من الحرية والعدالة والايمان كمبرر باستبعاد الاخر وجعله تابع لها، ولاجيال عدة وشيطنة المختلف والمغاير، بصرعه وقتله، فحرية السلطة العباسية التي نادت بها هي حرية استبداد فانت حر ومرفه اذا اذا دخلت داخل منظومة السلطة واتبعت آيديولوجياتها الطاغية دون معارضة .

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

[1] تاريخ الادب في العصر العباسي بغير الاندلس والمغرب، بيومي السباعي، مطبعة العلوم، غير محدد، ط2، 1937.

[2] النقد الثقافي – قراءة في الانساق الثقافية العربية–، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 2005.

[3] تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الاول–، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،ط8، 1966: 448.

[4] الخطابة – اصولها .تاريخها في ازهر عصورها عن العرب–، الامام محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، الكويت، ط2، 1980 : 22 .

[5] جمهرة خطب العربية في عصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط1933، 3: 6 /3 ..

[6] البيان والتبيين، ابو عثمان بحر بن عمر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هرون، الخانجي، مصر، ط7، 1998: 192/2.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[7] كتاب الحيوان، ابي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965.

[8] بلاغة الكتاب في العصر العباسي– دراسة تحليلية نقدية لتطور الاساليب–، محمد نبيه حجاب، مكتبة الطالب الجامعي، السعودية، ط2، 1986.

[9] مروج الذهب ومعادن الجوهر، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت346ه)، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005.

[10] صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، احمد بن علي الفزاري القلقشندي، تح: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة دمشق، 1981.

[11] الخطاب والنص، "المفهوم – العلاقة –السلطة"، عبد الواسع الحميري، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 2008: 189.

[12] استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004: 224 .

[13] جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،1971.

[14] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الاحكام، باب: بيعة النساء، حديث رقم: (7213).

[15] عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت : 209/24.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq